

7

قصص الصحابة

أعمى يحمل الراية

سلوى العنانى

دار اللطائف

أعمى يحمل الراية

(عبد الله بن أم مكتوم)

[إذا ما أخذت كريمةَ عبدي لم أجدْ له بها جزاءً إلا الجنة]

حديث قدسي

هذا صحابيٌّ نزلَ الوحيُ في أمـرِهِ مرتَيْنِ .. رغـم أنـه لم يكنْ مِنَ الزُّعماءِ ولا القادةِ .. ولم يكنْ من كِبَـارِ قومِـه ولا مِنَ الأغنياءِ بل كانَ رجلاً كفيفًا .. فقيرًا ..

لم يسمعْ أحدٌ (بعبدِ اللهِ بن أمِّ مكتومٍ) قبلَ إسلامه .. فقد كان إنسانًا بسيطًا حتى إنَّ الناسَ اختلفوا على اسمه .. هـل هو (عبدُ الله) أم (عمرو) .. لكـنَّ اسـمَ (عبـد الله) غلـبَ عليه واشتهرَ به ..



هو ابنُ أبوَيْنِ بسيطَيْنِ .. لا يَعْرِفُ أحدٌ اسمَ أبيه .. وهو ليس بشاعرٍ ولا حكيمٍ ولا فارسٍ .. رجلٌ كَفِيْفٌ رقيقُ الحالِ تعرفه دروبُ مكةَ جوَّالا كثيرَ السؤالِ ، فقـد كـان يريـدُ أن يعرفَ كلَّ شيءٍ حولـه .. وتحفـظ ذاكرتُـه الصـورَ اللفظيـةَ

للأشياءِ لا ينساها أبدًا .. وهو فـوق ذلـك دؤوبـا في طلـبِ الرزقِ .. وهو رزقٌ محدودٌ بغيرِ شـك .. فـالرزقُ الواسـعُ في هذه المجتمعاتِ كانَ مِنْ نصيبِ الفرسانِ والشعراءِ والتجارِ وأبناءِ الكبراءِ والزعماءِ . قَنَعَ (عبدُ الله) بما أعطـاه الله مـن رزقٍ .. ولم يقنعْ بما وهبه من العلمِ . وهذه فضيلـةٌ عنـد أي إنسانٍ وليست رذيلةً .

وسط اهتمامِه بمعرفةِ الأخبارِ وحرصِـه علـى معرفـةِ كـلِّ جديدٍ يَدِبُّ على الأرض ، وصلت إلى سَمْعِ (عبـدِ الله بـنِ أمِّ مكتومٍ) أنباءٌ تقول أن هناك رجلاً (أمينًا) اسمه (محمدُ بـنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ) يجمع حوله الناسَ ويتلـو عليـهم كلامًا لم يسمعْ به أحدٌ من قَبْل .. وسَمِعَ كذلك أنَّ (محمدًا) يقولُ أن هذا وحي يتلقاه من السماءِ وأنه مُكَلَّـفٌ بتبليغـه إلى الناسِ ..

وسأل (عبدُ الله) أين يمكنه أن يجدَ (محمدًا) هـذا ليعـرفَ منه المزيدَ عَنْ هذا الوحي .. وعرف أنـه يمكـن أن يلقـاه في (دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمِ) ..



واندفع الرجـلُ إلى (دارِ الأرقـم) .. تحملـه أشـواقُه قبـل قدميـه .. وتقـوده بَصِيْرَتُـه قبـل بَصَـرِه .. وهنـاك التقـى (بمحمدٍ) .. سمع منه .. وحفظت ذاكرته .. ثـم آمـن بمـا سمـع مُعْلِنًا إسلامَه بين يديِّ الرسولِ صلى الله عليه وسلم .

ومنذ اللحظة التي صافحت كَفُّه كَفَّ النبيِّ أصبحَ جُنْدِيًّـا فِي كتيبةِ المؤمنين المجاهدين والداعين إلى هذا الدينِ العظيمِ الذي لا يفرق بـين أبيضَ وأسودَ ولا عربـيٍّ وعجمـيٍّ .. وَجَلَسَ (ابـن أمِّ مكتـومٍ) الفقيـرُ الضعيـفُ الكفيـفُ إلى جوارِ (أبي بكرِ بنِ أبي قُحَافَةَ) وإلى جـوار (مُصْعَـبِ بـنُ عُمَيْرٍ) وغيرهما ممن كانوا من زعماءِ العربِ ووجهائـهم .. جلسَ مع (عَمَّارِ بنِ ياسـر) و(بـلالِ بـنِ ربـاحٍ) .. جمعـت مائدةُ الإسلامِ بين هؤلاءِ الذين كانوا أَرِقَّاءَ وبين من كـانوا أسْيَادًا .. وأصبحَ الجميعُ أحـرارًا إلا مـن عبوديتـهم لربـهم الواحدِ الأحدِ ..

ولازمَ (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتوم) الرسـولَ ـ عليـه الصلاةُ والسلامُ . لازمه لا يتركُه ولا يغادرُ مجلسَه .. يحفظ عنه كـلَّ

لكن وحي السماءِ ينزلُ لترضية الكفيـفِ الفقيـرِ (عبدِ الله بن أمِّ مكتوم) ..

{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّـهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَـهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَـنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس : 1 - 10] .

جاء وحي السماء يؤكد أن (عبدَ الله) جاء الرسولَ راغبًا في التَزَكِّي ، طامعًا في التذكرِ ، ساعيًا إلى العلمِ ..

ويتجـه النبيُّ إلى (عبـدِ الله بـنِ أمِّ مكتـومٍ) مُرَحِّبًـا بـه يسترضيه سائلا عما له من حاجة .. ومن يومها كـان النبيُّ يرحبُ بمقدمِ (ابن مكتوم) قائلا :

"مَرْحَبًا بمن عاتبني فيه ربي" ..

ثم يسأله عن حاجته .. ويحرصُ على وجودِه في مجلسِه ..



أتى جبريلُ ـ عليه السلامُ ـ يومًا بالوحي إلى النبيِّ ـ عليه السلامُ ـ وكان معه (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتومٍ) .. فسأله جبريلُ

عليه السلامُ: متى ذَهَبَ بصرُك؟؟

فأجابه (عبد الله) :

وأنا غلام ..

فرد عليه جبريل بقول الله تعالى :

[إذا ما أخذت كريمة عبدي لم أجِدْ بها جزاءً إلا الجنةَ]

(حديث قدسي)

والكريمة هى العين ـ أى بصره .

بشراك يا عبدَ الله .. فقد بَشَّرك جبريلُ بالجنةِ في أخْرَاكَ أما في دُنياك فقد حَظِيْتَ برفقةِ سيدِ الخلقِ وحُبِّه لك وإيثاره لك .. فقد اختارك لترفعَ آذانَ الصلاةِ إذا ما غابَ (بلالُ بنُ رباحٍ) عن المدينة.. وفي ليالي رمضانَ .. كان (بلالٌ) يرفع الأذانَ ليوقظ المسلمين للسحورِ .. فإذا ما ناديت (يا بن أمِّ مكتوم) أمسك الناسُ عن الطعامِ ..

"إن بلالا ينادي بليلٍ فَكُلُوا واشربوا حتى ينادي ابنُ أمِّ

مكتوم" حديث صحيح رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ويملأ حُبُّ رسولِ الله قلبَ (عبدِ الله بنِ أمِّ مكتوم) حتى يضطره يومًا لقتلِ سيدةٍ يهوديةٍ كانت تعطف عليه .. فما هي حكاية هذه اليهودية ؟

كانت هذه السيدةُ تُشْفِقُ على (عبد الله) وتَتَرَفَّقُ بضعفه وتقدم له الطعامَ إذا ما وَفِدَ عليها ..

وذهب (عبدُ الله) إليها يومًا كعادته لكنها أسمعته ما يكره في حَقِّ رسولِ الله .. وحاول الرجلُ أن يقنعها بالتوقفِ عما تقول .. لكنها لم ترتدعْ .. ولم يشعرْ (عبدُ الله) بنفسِه إلا وقدْ قام فضربها حتى ماتت ..



فأيِ قوةٍ تملكت هذا الرجل حتى يقتلَ المرأةَ التي أساءت بألفاظِها إلى النبيِّ الكريمِ .. لا بُدَّ أنها كانت طاقةً فائقةً من الحُبِّ والولاءِ ..

وأسرع (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتومٍ) إلى النبيِّ يقصُّ عليه ما

حدث وهو خائفاً مرتعدٌ مما حدث .. فقد قتل المرأة ..

فماذا قال له النبيُّ عليه السلام ؟

قال النبيُّ : "أبعدها الله تعالى .. فقد أَبْطَلَتْ دَمَها " ..

لقد بدأت بالإساءةِ إلى رسولِ الله .. فأصبح دَمَهَا مُهْدَرًا .

لم يقفْ العجزُ يومًا بين (عبد الله بن أمِّ مكتومٍ) وبين أداءِ دورِه في خدمةِ الإسلامِ والمسلمين .. فكان النبيُّ يستخلفه على المدينة المنورة إذا ما خرج في غزوةٍ في سبيلِ الله .. وقد استخلفه ثلاثَ عَشْرَةَ مرة .. وفي هذا تشريفٌ أيُّ تشريفٍ ، فماذا كان (عبد الله) يصنع في أثناء غياب النبي؟!

كان يجلسُ في المسجدِ يعظُ الناسَ ويعلِّمهم أمورَ دينهم ، وكان يقوم على تحفيظِ الصبيةِ القرآنَ .. ويؤمُّ الناسَ في الصلاةِ .. فإذا ما كان يومَ الجمعةِ وقفَ إلى يسارِ مَنْبَرِ رسولِ الله يخطبُ في المسلمين ..

وأصبح اسم (عبد الله بن أم مكتوم) بين المسلمين مثالا على التقوى والسعي الدائم إلى العملِ الصالحِ والتفاني

في مرضاةِ الله ورسولِه والإخلاصِ في مساعدةِ إخوانِه من المسلمين .

فلما نزل وحي السماءِ بالآية (59) من سورة النساء ملأ الحزنُ قلبَ عبد الله واتجه بوجهه إلى السماءِ يخاطبُ الله بنفسٍ صافيةٍ ويقول: يارب .. ابتليتني .. فكيف أصنعُ يا ربِّ .. وسعت رحمتُك كلَّ شيءٍ .. واتجه بالحديث إلى الرسولِ وقال : يا رسولَ ا لله .. قد أنزلَ اللهُ في الجهادِ ما قد علمت وأنا رجلٌ ضريرُ البصرِ لا أستطيع الجهادَ فهل لي من رُخْصَةٍ عند الله إن قَعَدْتُ؟ فقال له الرسولُ عليه السلامُ : "ما أُمِرْتُ في شأنك بشيءٍ وما أدري هل يكون لك ولأصحابك من رخصةٍ؟" .



فقال (ابن أمِّ مكتوم) : اللهمَّ إني أنشدك بَصَري .. فنزل قوله تعالى :

{لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ

الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}

[النساء : 95]

وكان الوحي قد نزلَ في البداية بهذه الآية دون عبارة {غير أولي الضرر} .. ثم نزلَ الوحي بها تكريما لهذا المسلم التقي الكريم القوام العابد المخلص ..

نزلَ الوحي بهذه الإضافة اعترافا بفضلِ هذا الرجلِ (الكفيفِ) واعترافا بمكانته وإنْ كانَ عاجزًا عن الجهاد في سبيلِ الله بسيفه.. وهذه لم تكن الحالة الوحيدة .. فقد كان مِنَ المسلمين الأوائل من أقْعَدَهُ العجزُ الجسدي عن الاشتراكِ في الحروبِ والغزواتِ .. لكن هذا لم يكنْ يعني أنَّهم (أقل درجة) .. فقوة الجسدِ لم ولن تكون أبدا هي معيارُ الإيمان الصادقِ ولا الإسلامِ الصحيحِ .. بل {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} .. وكان (عبد الله بن أم مكتوم) مسلما تقيًّا .

لقد هاجر (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتــوم) مـع مَـنْ هــاجرَ مـن المسلمينَ الفارِّيْنَ بدينهم من عذابِ أهلِ مكةَ .. هـــاجرَ إلى يثربَ متوكِئًا على عصاه حاملا في قلبه الحُبَّ - كـل الحُـبِّ لله ولرسولِه - .. لكنه كان يشعر برغبةٍ شديدةٍ في نفسِه في أن يُشَارِكَ المسلمينَ في القتال ..

كيـف يحـدث هـذا .. هـل لأعمى أن يقتحـم صفــوفَ المقاتلينَ ليبارزَ ويحارب؟!

لعلها كانت فكرةً قديمةً في قلبِ (ابنِ أمِّ مكتوم) منـذ أن هاجرَ بدينه إلى (يثربَ) .. لكنها كانت بلا شكٍّ مســتحيلةَ التنفيذِ ..

وينتقل النبيُّ الكريمُ - عليه الصلاةُ والسلامُ - إلى جوارِ ربه .. تاركا وراءه جنودًا حَمَلُوا رايةَ الإســلامِ وأقســموا أن يرفعوها فوقَ كلِّ بــلادِ الدنيـا نَشْـرًا لديـن الله .. ويعيشُ (عبدُ الله بنُ أم مكتومٍ) وَسَطَ هؤلاءِ الجنودِ .. يسمعُ منــهم كيفَ انتشر دينُ الإســلامِ .. وكيـف آمـنَ بـه أهــلُ الشامِ

والعراقِ ومصرَ .. ويسمعُ أن (سعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ) يجهِّزُ جيشا بأوامر من الفاروقِ عمرَ بنِ الخطابِ ليفتح بلادَ الفرس ..

ويطلب (ابنُ أمِّ مكتوم) أن يسمحوا له بمرافقة الجيشِ المتجه إلى القادسية .. ولا بد أنهم ظنوا أن به رغبةً في التواجدِ وسط الجيوشِ يؤمها للصلاةِ أو يفصل في بعض ما يقابلها من أمورٍ فقهيةٍ أو شرعيةٍ .. لابد أنهم كانوا يفكرون على هذا النحو ..

فماذا حدث في القادسية ؟

طلب (عبدُ الله بن أم مكتوم) من رفاقه المسلمين أن يعطوه (اللواء) يحمله ويرفعه ويتقدم الصفوفَ .. وتلفتَ الجميعُ في دهشةٍ.. كيف يحملُ اللواءَ أعمى .. ولماذا .. وارتفع صوتُ (ابنِ أمِّ مكتومٍ) ..

(يا أحبابَ الله .. يا أصحابَ محمدٍ عليه السلامُ .. يا أبطالَ المعاركِ .. ادفعوا إليَّ باللواءِ فإني رجلٌ أعمى لا

أستطيع أن أفرَّ ، وأقيموني بين الصفين) .

يا لها من فكرةٍ ذكيةٍ .. فهذا الأعمى سيمضي في طريقه مقبلا ولن يُدْبِرَ أبدًا .. ومن خلفه ارتفعت صيحةُ الإسلامِ : الله أكبر .. وكان النصرُ يومها للمسلمين ..

رحمةُ الله عليك يا صاحبَ رسولِ الله .. يا من أضاءَ الإيمانُ بصيرَتك فحملتَ رايةَ الإسلام إلى النصرِ .



